وتتحمل المسؤولية، باقدامها على هذه الخطوة، فانه يكاد يصاب بالذهول عندما يعلم ان «فتح» نفسها، لا غيرها، تنتدب «محاورين» عنها لـ «التحدث» مع «الناطق الرسمي» للعصابة، المدعو عاطف ابو بكر. فمن المعروف جيداً، للقاصي والداني، وللعالم باجمعه قبل العرب والفلسطينيين، ان عصابة ابو نضال الحقت افدح الاضرار بالقضية الفلسطينية والعربية بأسرها، من خلال لجوئها الى اساليب الارهاب السافل على صعيد عالمي، من جهة، واعلان الحرب على منظمة التحرير الفلسطينية عامة، و «فتح» خاصة، بزعم انها «منحرفة» و «مستسلمة» الخ، من جهة أخرى. وخلال حربها القذرة، هاجمت هذه العصابة اكثر من مكتب للمنظمة، في مختلف انحاء العالم، وقتلت عدداً من خيرة الكوادر الفلسطينية، يكاد يكون مساوياً لذلك العدد الذي قتله عملاء العدو في الموساد الاسرائيلي. ولو كانت هنالك حركة ثورية تستحق هذا الاسم لكان من الواجب لا «التحدث» مع افراد هذه العصابة، بل تصفيتها تنظيمياً وارسال بعض كبار مخططي الاجرام فيها الى قبورهم، باعتبارها مجموعة خائنة، عملت داخل البيت، وتستحق اقصى العقوبات. الا ان «التقاليد» المنظماتية الفلسطينية تفترض عكس ذلك، بل ان ما فيها من «نخوة» و«مروءة» يحتم حتى انقاذ المجرمين ومؤاساتهم. فالبعض يدّعي بأن هذه «العقلنة» التي تدفع عصابة ابو نضال حتى الى «الحوار» مع «المنحرفين» و «المستسلمين»، التي كانت تسعى، جاهدة، سابقاً، الى قتلهم، بل انها اصدرت «احكام» اعدام بحق بعض كبار قادتهم، لم تظهر صدفة ولوجهه تعالى، بل انها ناجمة عن شعور العصابة بأن الحبل بات يضيق حول عنقها، نظراً لتخلي الانظمة التي كانت تدعمها وتوجهها للعمل ضد القيادة الشرعية للمنظمة، عنها، او تخفيف تأييدها، الواحد تلو الآخر ـ احدها لأن الاميركيين شنّوا غارة على مقره وكادوا يقتلونه، ثم اوضحوا انهم لن يترددوا في شن غارات أخرى، ان دعت الحاجة الى ذلك؛ والآخر لأن البريطانيين (والاوروبيين) وجهوا اليه صفعة مهينة (ويهمس غيرهم بأن الاميركيين هددوه، ايضاً، بغارة). وازاء هذا الواقع، اقل ما كان ينبغي عمله، بعد ان لم يُنفَّذ واجب تصفية العصابة، هو تركها لكي تذوي وتسقط وحدها، على الاقل، او الاستمرار في التشديد على عزلها. ولكن، بدلاً من ذلك، يصار الى مد يد العون لها، باضفاء «الاحترام» و«الشرعية» عليها و«محاورتها»، على ما يجره ذلك، حتماً، من ضرر للقضية الفلسطينية عامة، باضفاء شيء من المصداقية على ادعاءات بعض القوى المعادية، على اختلاف اتجاهاتها، بأن منظمة التحرير الفلسطينية لا تشكل حركة تحرير فحسب، بل انها تضم، ايضاً، مجرمين محترفين؛ وهي ادعاءات كانت بذلت جهود كبيرة لدحضها.

صحيح ان الجهود غير الحميدة التي بذلت في «الحوار» مع عصابة ابو نضال لم تسفر، في هذه المرحلة، عن اي نتيجة (عدا عن الاضرار بسمعة المنظمة عامة)، اذ انسحب اولئك اخيراً، ولم «يشرّفوا» المجلس الوطني بالانضمام اليه. ولكن من الخطأ الافتراض ان هذه هي الكلمة النهائية. فلو تفاءلنا خيراً، وبمدى معرفتنا بـ «التقاليد» المنظماتية، يمكننا ان نخمّن انه لن يمر وقت طويل الا ويصار الى «الاعتراف» بالعصابة اياها (ويقال ان بعض اصحاب الامر والنهي لا يعترض على ذلك، شرط ان تغيّر العصابة اسمها وتشطب كلمة «فتح» منه، اذ ان هنالك تنظيماً بهذا الاسم، ولا يجوز ان يكون هناك تنظيمان يحملان الاسم عينه. كذلك ينبغي ان يعلن التنظيم «التوبة» ـ هذه «فقط» هي الشروط «الصعبة» المطلوب تنفيذها). ويتم مثل هذا الاعتراف، عادة، بتطويب العصابة «فصيلاً»، يصبح، بصفته تلك، «محترماً»، ويدعى الى الحوارات والمناقشات، ويؤخذ رأيه قبيل تنفيذ المهام الجسام، وكذلك ـ وهذا هو الاكثر اهمية ـ يحصل على تمويل ثابت ودائم من الصندوق القومي الفلسطيني لدعم «صموده»، يستطيع ان يستغله، ايضاً، على سبيل المثال، في تخطيط وتنفيذ هجمات أخرى على مكاتب المنظمة ومؤسساتها. واذا سارت الامور قدماً، على طريق الخير والبركة، سوف يصار، في المجلس